المحاضرة الأولى: التعريف بعلم العروض

تمهيد:

نَظَمَ الشعراءُ العربُ منذ العصر الجاهلي الشِّعرَ، ولم يكونوا على دراية بأوزانه، معتمدين في ذلك على السليقة/ الأذن الموسيقية التي اكتسبوها من البيئة الطبيعية والاجتماعية التي كانوا يعيشون فيها؛ فمن الروايات التي تقول باعتمادهم على إيقاع أخفاف الناقة وحوافر الفَرَس، ومنهم من يقول باكتسابهم الأذن الموسيقية بالفطرة.

ومهما يكن من أمر، فإن العرب نَظَموا كثيرا من القصائد الموزونة التي اتخذها واضعُ علم العروض (الخليل بن أحمد الفراهيدي) ميدانا لتأسيس العلم الذي أوجده.

1. التعريف بعلم العروض:

أ. **العروض لغة:**

ورد في لسان العرب، تحت مادة (عَرَضَ)، "قولُهم: استُعْمِلَ فلان على **العَروض**، وهي مكة والمدينة واليمن وما حولها؛ قال لبيد: نُقاتِلُ ما بَيْنَ **العَرُوضِ** وخَثْعَما، أَي ما بين مكة واليمن. و**العَرُوضُ** الناحيةُ. يقال: أَخذ فلان في **عَروضٍ** ما تُعْجِبُني أَي في طريق وناحية؛ قال التَّغْلَبيّ: لكلِّ أُناسٍ، مِنْ مَعَدٍّ، عَمارةٍ، **عَرُوضٌ**، إِليها يَلْجَؤُونَ، وجانِبُ يقول: لكل حَيّ حِرْز إِلا بني تَغْلِبَ فإِن حِرْزَهم السُّيوفُ، وعَمارةٍ خفض لأَنه بدل من أُناس، ومن رواه عُروضٌ، بضم العين، جعله جمع عَرْض وهو الجبل، وهذا البيت للأَخنس بن شهاب. و**العَرُوضُ** المكانُ الذي يُعارِضُكَ إِذا سِرْتَ.

قال ابن سيده: و**العَرُوضُ** مكة والمدينة، مؤنث. وفي حديث عاشوراء: فأَمَرَ أَن يُؤْذِنُوا أَهلَ **العَرُوضِ**؛ قيل: أَراد مَنْ بأَكنافِ مكة والمدينة. ويقال للرَّساتِيقِ بأَرض الحجاز الأَعْراضُ، واحدها عِرْضٌ؛ بالكسر، وعَرَضَ الرجلُ إِذا أَتَى **العَرُوضَ** وهي مكة والمدينة وما حولهما؛

من هذا التعريف اللغوي يتبين لنا أن **(العروض)** هو الناحية، وهو الجبل، وهو الظهور والبُروز، ويطلق على مكة، وهو الاسم القديم لها. ولكلّ معنى من المعاني المذكورة تفسير وتبرير. ومن هذه التفسيرات:

. إن كلمة **العروض** مشتقة من العَرض؛ لأن الشعر يُعرض على ميزانه.

. إن كلمة **العروض** في اللغة تعني الطريق إلى الجبل أو الطريق الصعب، فقصد الخليل أن البحور هي طريق إلى النظم.

. إن كلمة **العروض** في اللغة تعني الناحية؛ وهو ناحية من نواحي علوم اللغة العربية.

. إن كلمة **العروض** من أسماء مكة، وقد وضع هذا العلم في مكة فأطلق عليه اسم العروض تبركًا بمكة.

ب. **العروض اصطلاحا:**

يُعرّف علماء العروض هذا العلم ب:

إنه علم يُعرَف به صحيح أوزان الشعر من فاسده، وقيل أنه سمي على اسم أخر تفعيلة من الشطر الأول حيث يسمى عروضًا.

ويُعرَّف علم العروض بأنه علمٌ بمعرفة أوزان الشعر العربي، أو هو علم أوزان الشعر الموافق أشعار العرب التي اشتهرت عنهم وصحّت بالرواية من الطرق الموثوق بها، وبهذا العلم يُعرف المستقيم والمنكسر من أشعار العرب والصحيح من السقيم، والمعتلّ من السليم.

أما المعنى الاصطلاحي الذي ذكره الخليل في كتابه العين فهو: "عروض الشعر هي الميزان الذي يُعرض عليه الشعر لقياسه وتقويمه ونجمع الكلمة على أعاريض وهي مؤنثة ويجوز تذكيرها."

2. واضع علم العروض:

ولد أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي سنة 100 هـ، 718 م بعمان، والفراهيدي نسبة إلى فراهيد، وهي بطن من الأزد. سافر إلى البصرة طلباً للعلم فتتلمذ على مشاهير علمائها فأخذ على أيوب السختياني وعاصم الأحول فقه اللغة، ودرس الفقه والحديث والكلام والتفسير وغيرها من علوم الشريعة على العوّام بن حوشب، وغالب القطان، وأبو عمرو بن العلاء، وعثمان بن حاضر.

عُرف الخليل بن أحمد بالصلاح وحسن الخلق ورجاحة العقل والذكاء والوقار والتواضع، وأكثر ما كان من صفاته بعد سيادته في العلم وانقطاعه له ما كان من زهده وورعه، والتقلل من الدنيا والصبر على خشونة العيش وضيقه، وكان يقول: «إني لأغلق عليّ بابي فما يجاوزه همّي».

كثرت الروايات التي تؤكد إخلاصه في العبادة وزهده، فحكى عنه تلميذه النضر بن شميل، أنه أقام في خص من أخصاص البصرة لا يقدر على فلسين، وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال. كما كان سليمان بن حبيب بن أبى صفرة والي فارس والأهواز يدفع له راتباً بسيطاً يعينه به، فبعث إليه سليمان يوما يدعوه إليه،

فرفض وقدّم للرسول خبزاً يابساً مما عنده قائلاً: ما دمت أجده فلا حاجة بي إلى سليمان، فقال الرسول: فما أبلغه عنك؟ فقال: أبلغ سليمان أني عنه في سعة، وفي غنى غير أني لست ذا مال.

حكى عنه أيوب بن المتوكل إنه «كان إذا أفاد إنساناً شيئاً لم يره أنه أفاده، وإن استفاد من أحد شيئاً أراه بأنه استفاد منه». وقال تلميذه النضر بن شميل: «ما رأيت أحداً يطلب إليه ما عنده أشد تواضعاً من الخليل.» وعكف الفراهيدي على دراسة علوم اللغة العربية، ودفعه حبه وشغفه بلغة القرآن الكريم إلى العمل على وضع قواعد مضبوطة للغة، حتى عده العلماء الواضع الحقيقي لعلم النحو في صورته النهائية التي نقلها عنه تلميذه سيبويه في كتابه المسمى «الكتاب»، فذكره وروى آراءه في نحو ثلاثمائة وسبعين موضعاً معترفاً له بوافر علمه، وعظيم فضله.

يُذكر أنه ذهب إلى الكعبة حاجّاً، فتعلق بأستارها، ودعا الله أن يهَبَ له علماً لم يسبقه أحد إليه، ثم عاد إلى وطنه، فاعتزل الناس في كوخ بسيط من خشب الأشجار، كان يقضي فيه الساعات الطويلة يقرأ كل ما جمعه من أشعار العرب، ويرتّبها حسب أنغامها، ويضع كل مجموعة متشابهة في دفتر منفرد، وذات يوم مر الخليل بسوق النخاسين، فسمع طرقات مطرقة على طست من نحاس، فلمعت في ذهنه فكرة علم العروض، وهو ميزان الشعر أو موسيقى الشعر، الذي ميّز به الشعر عن غيره من فنون الكلام، فكان للخليل بذلك فضل على العرب؛ إذ ضبط أوزان الشعر العربي، وحفظه من الاختلال والضياع. وقد اخترع هذا العلم وحصر فيه أوزان الشعر في خمسة عشر بحراً / وزناً».

كما اهتم بضبط أحوال القافية، وهي المقطع الأخير في البيت الشعري، والتي يلتزم بها الشاعر طوال القصيدة، فأخرج للناس هذين العلمين الجليلين كاملين مضبوطين مجهزين بالمصطلحات, ويعد الفراهيدي من أهم علماء المدرسة البصرية، وتتلمذ عليه كثيرون منهم سيبويه النحوي، البصري، وعبد الملك بن قريب الأصمعي، وحماد بن يزيد، وأيوب بن المتوكل البصري القارئ، وبدل بن المحبر، وداود بن المحبر، وعلي بن نصر الكبير، وعون بن عمارة، والسدوسي، وموسى بن أيوب، والنضر بن شميل، وهارون بن موسى النحوي الأعور، ووهب بن جرير بن حازم، ويزيد بن مرة. لقد أشاد به العلماء وأثنوا عليه، وقال عنه سفيان بن عيينة: «من أحبّ أن ينظر إلى رجل خُلق من الذهب والمسك فلينظر إلى الخليل بن أحمد». وقال السيرافي: «كان الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله». وقال عنه ابن حبان: «كان من خيار عباد الله المتقشفين.

خلّف الفراهيدي كثيرا من المصنفات منها: كتاب «العروض»، و«الشواهد»، و«النقط والشكل»، و«النغم»، و«معاني الحروف»، و«العوامل»، و«النوادر»، و«الجمل»، غير أن الذي نشر اسمه وأذاع

شهرته في الآفاق هو كتابه ومعجمه الفريد في مصنفات اللغة العربية كتاب «العين»؛ إذ يعتبر أول معجم جامع للألفاظ في اللغة العربية. هدف الخليل منه ضبط اللغة وحصرها. وقد كان منهجه فيه إلى أن بدأه بترتيب الحروف، ثم بتقسيم الأبنية، وأخيراً بتقليب اللفظة على أحد أوجهها، قال عنه أبو الطيب اللغوي: « أبدع الخليل معجمه حسب مخارج الحروف مع مراعاة أوائل الأصول». توفي – رحمه الله– بالبصرة عام 170 هـ / 786 م. ويقال إن سبب وفاته هو استغراقه في التفكير في طريقة تيسّرُ استخدام الحساب على العامة، فدخل إلى المسجد، وهو شاغل فكره في التفكير فاصطدم بسارية وهو غافل فكانت السبب في موته.

ولم تشهد الأمة بعد وفاة الخليل بن أحمد الفراهيدي عالما عبقريا مثله في موسيقى الشعر وأوزانه.

3. أهمية علم العروض وفوائده:

تكمن أهمية علم العروض وفوائده فيما يأتي:

. معرفة صحيح أوزان الشعر من فاسدها؛ إذ به يستطيع الناقد أو الدراس تمييز الشعر الصحيح، من ناحية الوزن من الفاسد؛ فالعروض للشعر كالنحو في الكلام والصرف في الأبنية.

. حماية أوزان الشعر العربي من الأوزان المزيّفة؛ إذ الاختلاط بالأعاجم أدى إلى ظهور اللحن في اللغة، وأدى أيضًا إلى ظهور أشعار مكسورة الوزن، فكان لِزامًا على الخليل أن يضع العروض، حتى يحمي الشعر من فساد الوزن.

. تأطير الموسيقى في الشعر العربي؛ حيث أسهم العروض بشكل كبير في وضع أسس موسيقية للكتابة الشعرية بوجود البحور الشعرية التي تحتوي على الأوزان والتفعيلات العروضية المختلفة، والتي من خلالها يمكن معرفة بحور الشعر للقصائد المكتوبة، وتمييزها عن بعضها.

. سهولة تعلم الوزن الشعري وذلك بصقل المواهب الأدبية في مجال الشعر العربي، ومساعدة هذه المواهب في عملية ضبط الموسيقى الشعرية في القصائد التي يكتبونها؛ بحيث تُصبُّ في الأوزان الشعرية السليمة، وهذا يؤدي يساعدهم على الكتابة الشعرية، وجعلها منسجمة والأسس الصحيحة للموسيقى الشعرية.

إن علم العروض بحر واسع، متلاطم الأمواج بتفعيلاته العجيبة، وبأضربه وأعاريضه، وبدوائره العروضية، وزحافاته وعلله، وما اتصل بكل ذلك من قضايا ومسائل.

4. معنى الشعر:

لم يتفق النقاد والمفكرون العرب على تعريف واحد للشعر، بل تعددت تعريفاتهم حسب المعايير والمنطلقات التي يستند عليها كل واحد منهم. ونورد هنا تعريفات لمجموعة من أعلام النقد العربي القديم، منها:

قال عنه **ابن منظور**: "الشعر: منظوم القول غلب عليه؛ لشرفه بالوزن والقافية، وإن كان كل علم شعراً".

وقال **الفيومي**: "الشعر العربي هو: النظم الموزون، وحده ما تركّب تركيباً متعاضداً، وكان مقفى موزوناً، مقصوداً به ذلك. فما خلا من هذه القيود أو بعضها فلا يسمى (شعراً). ولا يُسمَّى قائله (شاعراً)، ولهذا ما ورد في الكتاب أو السنة موزوناً، فليس بشعر لعدم القصد والتقفية، وكذلك ما يجري على ألسنة الناس من غير قصد؛ لأنه مأخوذ من (شعرت) إذا فطنت وعلمت. وسمي الشاعر شاعراً؛ لفطنته وعلمه به، فإذا لم يقصده، فكأنه لم يشعر به". وعلى هذا فإن الشعر يشترط فيه أربعة أركان: المعنى والوزن والقافية والقصد.

ويقول **عبد القاهر الجرجاني**: "أنا أقول – أيدك الله – إن الشعر علمٌ من علوم العرب يشترك فيه الطبعُ والرّواية والذكاء."

أما **ابن طباطبا** فيعرّف الشعر في كتابه عيار الشعر بقوله: " الشعر، أسعدك الله، كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم، بما خصّ به من النظم الذي إن عدل عن جهته، مجّتْهُ الأسماع وفسَد على الذوق، ونَظْمُه معلومٌ، محمودٌ، فمن صحّ طبعه، وذوقه، لم يحتج الى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه."

ويعرّف **ابن خلدون** الشعر بقوله:" الشعر هو الكلام المبني على الاستعارة والوصف المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والرويّ، مستقلّ كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده."

أما **قدامة ابن جعفر** فقسم الشعر إلى خمسة أقسام: علم العروض ووزنه. علم قوافي الشعر ومقاطعه. علم غريبه ولغته. علم معانيه والمقصد به. علم جيّده من رديئه.

يقول قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر: " فأمّا عن علم جيّد الشعر من رديئه، فإنّ الناس يخبطون في ذلك منذ تفقّهوا في العلم، فقليلاً ما يصيبون، ولمّا وجدتُ الأمر على ذلك وتبيّنتُ أنّ الكلام في هذا الأمر أخَصُّ بالشعر من سائر الأسباب الأخرى، وأنّ الناس قد قصروا في وضع كتاب فيه، رأيتُ أن أتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع."

إن ما دفع قدامة إلى الكتابة في "جيّد الشعر ورديئه" هو خوض الناس في ذلك بلا علم، ولا دراية.

5. مصادر العروض ومراجعه:

مصادر علم العروض متعددة ومتنوعة، منها:

1. أهدى سبيل الى علم الخليل والقافية، محمود مصطفى، تحقيق وشرح سعيد محمد الفحام، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1996م، ط1.
2. أوزان الشعر، مصطفى حركات، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ، ط1 .
3. الايقاع في الشعر العربي، عبد الرحمن ألوجي، دار الحصاد، دمشق، 1989، ط1.
4. الباقي من كتاب القوافي، أبو الحسن حازم القرطاجني، تحقيق علي الغزيوي، ط1 1417هـ، الدار الاحمدية للنشر، الدار البيضاء، المغرب.
5. البنية الايقاعية في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1974، ط1.
6. البنية الايقاعية في شعر الجواهري، عبد النور داود، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الكوفة، 2008.
7. تلخيص العروض، الدكتور عبد الهادي الفضلي، دار البيان، جدة، المملكة السعودية، 1983، ط1.
8. دراسات في العروض والقافية، عبد الله الدرويش، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، السعودية، 1987، ط3 .
9. الدليل في العروض، سعيد محمد علي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1999م.
10. عروض الشعر العربي بين التقليد والتجديد، أمين عبد الله سالم، نبها، مصر، 1980، ط1.
11. العروض الواضح وعلم القافية، محمد علي الهاشمي، دار القلم، دمشق، 1991م.
12. العروض وايقاع الشعر العربي، سيد البحراوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.
13. العروض وايقاع الشعر العربي، محمد علي سلطاني، دار العصماء، دمشق، 2003، ط2.
14. علم العروض التطبيقي، نايف معروق وعمر الأسعد، دار النقاش، لبنان، 1987، ط1 .
15. علم العروض والقافية، إعداد راجي الأسمر، دار الجيل، بيروت، 2005.
16. علم العروض والقافية، الدكتور عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت،1987، ط1.
17. علم العروض وتطبيقاته. منهج تعليمي مبسط، محمد مصطفى أبو شوارب، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر 2004، ط1.
18. فن التقطيع الشعري والقافية، الدكتور صفاء خلوصي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1987م، ط6.
19. فن الموسيقى في الشعر العربي، محمود علي السمان، كلية التربية، دار أبو العينين، طنطا، مصر.

20. في العروض والقافية، يوسف بكار، دار المناهل، إربد، الأردن، 1990، ط2.
21. في بنية الشعر العربي المعاصر، محمد لطفي اليوسفي، نبراس للنشر، تونس، 1985.
22. في علمي العروض والقافية، أمين علي السيد، دار المعارف، 1974.
23. القافية عند القدماء والمحدثين، حسن عبد الجليل يوسف /المختار، 2005، ط1.
24. القافية والأصوات اللغوية، محمد عوني عبد الؤوف، مطبعة الخانجي، مصر.
25. قراءة عروضية في المعلقات العشر، عبد المنعم أحمد صالح التكريتي، مطبعة الرشاد، بغداد، 1986 .
26. القسطاس في صناعة العروض، جار الدين الزمخشري، تحقيق فخر الدين قباوة، مكتبة المعرف، بيروت، 1989م، ط2.
27. الكافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي، تحقيق الحساني حسن عبدالله، مطبعة الخانجي، القاهرة، 1994م، ط3.
28. كتاب العروض، ابن جني، تحقيق وتقديم، أحمد فوزي الهيب، دار القلم، الكويت، 1989، ط3.
29. المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، إعداد الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،1991م.
30. منظومة الدرة العروضية، معروف النودهي، شرحها نوري الشيخ بابا علي / التفسير /اربيل /2004، ط1 .
31. موسوعة موسيقى الشعر عبر العصور والفنون، عبد العزيز نبوي، دار اقرأ، القاهرة، مصر، 2005، ط1.
32. موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه، عبد الرضا علي، دار الشروق، بيروت، 1997م، ط1.
33. موسيقى الشعر العربي وعلم العروض، يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1999، ط1.
34. موسيقى الشعر العربي، محمد شكري عياد، دار المعرفة، القاهرة، 1968، ط1.
35. موسيقى الشعر بين الاتباع والابتداع، دكتور شعبان صلاح، دار غريب، القاهرة، 2005، ط4.
36. موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، 1972، ط4.
37. الميزان، محجوب موسى، مطبعة مدبولي، القاهرة ، 1997، ط1 .
38. الورد الصافي من علمي العروض والقوافي، محمد حسن ابراهيم عمري، الدار الفنية، الإمارات 1988، ط1.